لا تلومنّ اليهودي

وحدث أبو محمد أن أباه استخفى مرة فعرفه رجل يهودي فقال أبو الطيب: [الرمل]

لَا تَـلُـومَـنَّ الْـيَـهُـودِيَّ عَـلَـى
أَنْ يَـرَى الـشَّـمْـسَ فَـلَا يُـنْـكِـرُهَـا(١)
إِنَّـمَـا الـلَّـوْمُ عَـلَـى حَـاسِـبِـهَـا
ظُـلْـمَـةً مِـنْ بَـعْـدِ مَـا يُـبْـصِـرُهَـا(٢)

أحفظ المديح بعيني

وسئل عما ارتجله فيه من الشعر فأعاده فتعجب قوم من حفظه إياه فقال: [الخفيف]

إِنَّـمَـا أَحْـفَـظُ الـمَـدِيـحَ بِـعَـيْـنِـي
لا بِـقَـلْـبِـي لِـمَـا أَرَى فِـي الأَمِـيـرِ
مِـنْ خِـصَـالٍ إِذَا نَـظَـرْتُ إِلَـيْـهَـا
نَـظَـمَـتْ لِـي غَـرَائِـبَ الـمَـنْـثُـورِ(٣)

قليل لك المديح الكثير

وعاتبه أبو محمد على تركه مديحه فقال: [الخفيف]

تَـرْكُ مَـدْحِـيـكَ كَـالـهِـجَـاءِ لِـنَـفْـسِـي
وَقَـلِـيـلٌ لَـكَ الـمَـدِيـحُ الْـكَـثِـيـرُ(٤)
غَـيْـرَ أَنِّـي تَـرَكْـتُ مُـقْـتَـضَـبَ الـشِّـعْـرِ
لِأَمْـرٍ مِـثْـلِـي بِـهِ مَـعْـذُورُ(٥)

---

(١) و (٢) يروي الشاعر عن أبي محمد أن يهوديًّا قد عرف مكان والده فعرف أنه مشهور كما تعرف الشمس بضيائها، وعلى ذلك لا يُنكر معرفته إلّا من أنكر على الشمس ضياءها، وظنّ أنها مظلمة، ممّا يدلّ على عماه أو جهله فلا يُميز بين الظلمة والنور.

(٣) الخصال: الصفات الحميدة. لقد أوحى الممدوح للشاعر من جميل القول فيه أنه ينظر إليه ليستلهم معانيه من صفاته الحميدة لا ما يحفظه من مقولة الشعر المدحي التكسبيّ عند العرب، لذا فقد نظم فيه من الغرائب المعجزة.

(٤) و (٥) يقصد الشاعر بالمقتضب من الشعر ما كان على البديهة. يقدم الشاعر اعتذاره =

وَسَــجَــايَــاكَ مَــادِحَــاتُــكَ لَا لَــفْــ
ـظِـي وَجُـودٌ عَـلَـى كَـلَامِـي يُـغِـيـرُ(١)
فَـسَـقَـى ٱللَّـهُ مَـنْ أُحِـبُّ بِـكَـفَّـيـ
ـكَ وَأَسْـقَـاكَ أَيُّـهٰـذَا الأَمِـيـرُ(٢)

للّه قلبك

يمدح سيف الدولة وقد سأله المسير معه لما سار لنصرة أخيه ناصر الدولة:
[الكامل]

سِـرْ حَـلَّ حَـيْـثُ تَـحُـلُّـهُ الـنُّـوَّارُ
وأَرادَ فِـيـكَ مُـرَادَكَ الـمِـقْـدَارُ(٣)
وَإِذَا ٱرْتَـحَـلْـتَ فَـشَـيَّـعَـتْـكَ سَـلَامَـةٌ
حَـيْـثُ ٱتَّـجَـهْـتَ وَدِيـمَـةٌ مِـدْرَارُ(٤)

= عن انقطاعه عن مدح الأمير، إنه بالنسبة إليه كالهجاء لنفسه وذكر مناقصها، والمديح مهما كان كثيراً فإنه بالنسبة لما يمتاز به الأمير قليل في حقّه، والسبب في قوله الشعر بالممدوح أن الأمر معلوم لدى الممدوح، لذا فالعذر بيّن لديه واضح.

(١)٢ السجايا: المزايا والصفات. الجود: الكرم. يستلهم الشاعر من فضائل الممدوح ومزاياه الحميدة مدائحه، لذا فالممدوح يمدح نفسه بما فيه، ثم إن جوده متعدّد الجوانب كثير المناحي ممّا يسمح للشاعر الإغارة عليها والإشادة بها.

(٢) يدعو الشاعر بالسقيا لمن أحبّهم من فضل عطاء الممدوح، وكذلك يدعو له بالغيث العميم ليقدر على استجابة المحتاجين لفيض كرمه ودوامه.

(٣) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٣٧، ١٥٩. النوار: ضرب من الزهر، أبيض الأوراق ورأسه أصفر. حلّ بالمكان: نزل فيه. المقدار: القضاء والقدر. يُخاطب الشاعر سيف الدولة متمنياً له سفراً ميموناً موفّقاً بقضاء اللّه تعالى، وحيثما سار حلّ الخير ونبت الربيع بزهره الجميل وارتدت الأرض زخرفها وازدانت بألوان الجمال الإلهيّ.

(٤) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٣٧. الديمة: المطر الدائم لساعات دون رعد أو برق. المدرار: المنهمر. شيّعتك: صاحبتك. ويُردف الشاعر دعاءه متمنياً للأمير السلامة حيثما ارتحل وحلّ بمصاحبة ديمة هاطلة تنشر الخير العميم، وتبشر بمقدمه ليعلم الناس بمن نزل في ديارهم.